

التراث ودوره في تشكيل الهوية

(ملخص البحث)

يبرز في هذا العنوان عنصران اثنان، هما: التراث، والهوية. وبما أن الهوية، بالنسبة إلينا، وعي بالذات الفردية والجماعية ثقافياً في مقابل "الآخر"، وارتباط ذلك كله بالمصالح المادية والمعنوية للفرد والجماعة، وطرق العيش، ومنطلقاتها، فإن التراث يصبح عاملاً مؤسساً في الجزء الثقافي من الهوية، ذلك أن التراث معادل للمنجزات الحضارية المتوارثة مع منطلقاتها وآليات تسليمها. هو الجزء الحي من ثقافة الماضي ومدنيته اللتين يرثهما مجتمع عن السلف، وبالتالي، هو حضور الماضي في الحاضر. ولا ننسى أن ذلك الماضي تحقق للمشروع الحضاري للأمة باستثناء ما طوره الجيل الحالي انطلاقاً من هذا التراث.

أما الأزمة التي تواجه الهوية في الوطن العربي فمردها إلى أمرين اثنين: أولهما أن تسليم التراث لم يتم بشكل صائب وتام؛ لأنه منقطع عن الحداثة والعصرنة بسبب التدهور الحضاري الذي شهدته الأمة العربية منذ قرون، فلم تعد الثقافة المتوارثة تلبي حاجة الإنسان المعاصر فكرياً، ولا تجيب عن تساؤلاته الوجودية إلا من حيث المنطلقات الدينية المسلم بها، ولم يجر شرحها وتطويرها لتلائم صيرورة الحياة المعاصرة. هناك، إذاً، قطيعة بين التراث والحاضر المعيش، ما سمح للغرب بتثقيف العربي، فتشوّهت حضارته، وفقدت جزءاً من فرادتها. والأمر الآخر هو عدم تقاطع مصالح الجماعة مع الأنظمة السائدة في المجتمعات التي تنضوي تحت لوائها، فهذه الدول بمعظمها لا تلبي مصالح الفرد، وبالتالي، لا تحفز على القيام بواجباته تجاه الدولة؛ فينشأ من ذلك اضطراب في الانتماء الذي يعني، بالنسبة إلينا، إقبال المرء على التعالق مع الآخرين في منهج يألفه، ويؤمن مصالحه ومصالح الآخرين، والتكامل معهم.

د. سمير عيتاني

أستاذ مساعد . كلية الآداب . جامعة بيروت العربية

قسم اللغة العربية وآدابها